هل من سايكس بيكو ثانٍ للمنطقة

بواسطة حسن منيمنة (/ar/experts/hsn-mnymnt-0)

أكتوبر
متوفر أيضًا باللغات:
English (/policy-analysis/viability-second-sykes-picot)

عن المؤلفين

حسن منيمنة (/ar/experts/hsn-mnymnt-0)

حسن منيمنة هو محرر مساهم في منتدى فكرة ومدير مؤسسة بدائل الشرق الأوسط

تحليل موجز

ما لا خلاف في شأنه هو أن المنظومة السياسية العربية التي أتحفت المنطقة والعالم بوهم الاستقرار المستدام قد طويت صفحتها مع توالي الانتفاضات والأزمات والحروب لتدخل المنطقة مرحلة انتقالية غير واضحة المعالم

ورغم الضباب الذي يلازم أي استقراء لمستقبل الشرق الأوسط فإنه ثمة قناعة تزداد شيوعاً حول حتمية انعقاد «سايكس بيكو » في محاكاة لما عاشته المنطقة قبل قرن كامل

فثمة من يرى يخشى أو يأمل أن تشهد المرحلة إعادة تشكيل للكيانات والحدود على النمط الذي يُنسب عادة لاتفاقية سايكس بيكو وهي التي يفترض أنها من رَسَمَ هيئة المنطقة في أعقاب الحرب العظمى التي شهدت زوال الدولة العثمانية ويكاد الجدل في هذه الأوساط المرتقبة المتخوفة أن يقتصر على تحديد هوية الأطراف المشاركة في الفعل التأسيسي الجديد كما في شكل الكيانات العتيدة التي يفترض أن ينتجها

وفي حين أن التوقعات حول انعقاد سايكس بيكو جديد تقترب من درجة الإجماع فإنه لا توافق على الإطلاق في تقييم النوايا والأهداف التي تحرك المنعقدين العتيدين أي ثمة من يرى أن إعادة رسم حارطة المنطقة أمر محمود نظراً للحاجة الملحة إلى إيقاف النزيف فيها وإلى صياغة واقع جديد يعكس خطوط التماس بين الطوائف والجماعات وثمة من يعتبر أن النزيف مفتعل أصلاً لغرض فرض تقسيم يخدم مصالح بعيدة عن الحاجة الموضوعية لسكان البلاد والحديث هنا هو عن «الفوضى الخلاقة» تلك العبارة الاستدراكية التي أستعملتها عرضاً وزيرة الخارجية الأميركية السابقة كوندوليزا رايس لتصبح إحدى أهم أدوات التفسير لمجريات الأحداث لدى محللين يصرون على رؤية اليد الأميركية الخفية في كل تطور

ولكن هل لانتظار سايكس بيكو جديد ما يبرره بل هلّا جرى استعراض معطيات سايكس بيكو الأول لتأهيل الاطمئنان إلى سايكس بيكو آخر أو الطعن فيه فالاتفاق الأصلي والذي جرى النقاش حوله لأشهر امتدت بين العامين و كان بين قوتين استعماريتين في أوج انتشارهما شاءتا التفاهم على المكاسب بعد انتهاء الحرب الدائرة آنذاك ولكن ما يتضمنه الاتفاق من وعود لكل من بريطانيا وفرنسا لم يتحقق لا بإجماله ولا بتفصيله بل جلّ ما جرى هو تأصيل وجود جيوشهما في أماكن انتشار توافقتا عليه بعد اندحار القوات العثمانية

فالاتفاق بين الرجلين البريطاني مارك سايكس والفرنسي فرانسوا جورج بيكو يلحظ قيام خمسة كيانات في الشرق الأدنى: كيان يمتد من بغداد جنوباً ليشمل الكويت ويتصل بساحل الخليج تحت سلطة بريطانية مباشرة وكيان آخر يجمع ما هو اليوم الشطر الشمالي من العراق وكامل الأردن وصحراء النقب وصولاً إلى سيناء ليشكل منطقة نفوذ بريطاني وفي مقابل هذين الكيانين كيان شريط ساحلي يمتد من الجنوب اللبناني شمالاً باتجاه خليج الإسكندرونة وأضنة ليتسع براً إلى داخل الأناضول ويكون تحت سيطرة فرنسية مباشرة وآخر يقتصر على بادية الشام ويشكل منطقة نفوذ فرنسي وبالإضافة إلى هذه الكيانات الأربعة يتشكل من سنجق القدس العثماني أي الجزء الشمالي في فلسطين الانتداب كياناً تحت إشراف دولي على أن تقتطع بريطانيا منه عكا وحيفا

ويبدو بأن التجربة الملهِمة في السعي للاتفاق وفق هذه المعالم كانت على التوالي الهند والجزائر لكل من بريطانيا وفرنسا فكما

كان لبريطانيا سلطة مباشرة على بعض الهند ووصايات وحمايات في سائرها وكما كان لفرنسا حضور واستعمار مباشر في الجزائر وحماية ووصاية في جوارها فإن استعراض مستقبل الشرق الأدنى من جانب الدولتين الاستعماريتين جاء ليأمل بترتيبات مشابهة

أما ما حصلت عليه بريطانيا وفرنسا فعلياً بعد سقوط الدولة العثمانية فقد كان بلا شك دون الرجاء فقد منحت عصبة الأمم هذه وتلك انتداباً كلفته توشك أن تفوق مكافآته وإذ أنيطت مسؤولية الانتداب الفرنسي والبريطاني في مراحله الأولى بالقوات المسلحة لكلا الدولتين فإن القوة العسكرية في الخلاصة فشلت فشلاً ذريعاً عبّر عنه استفحال التمرد والانجرار إلى القمع الشديد المرتفع الكلفة وقد دفع ذلك السلطة المنتدبة إلى نقل المسؤولية إلى إدارات مدنية سارعت بدورها إلى التنصل من إلزامات عصبة الأمم من خلال اتفاقيات ثنائية ومن بعدها استقلالات

فلا التصورات للحدود تحققت ولا السعي إلى الاستفادة الواضحة وفق النموذج الاستعماري التقليدي حصلت أي أن سايكس بيكو الواقع والتاريخ لم يكن سايكس بيكو الخطاب السياسي الذي يجعل منه رسماً محكماً لحدود الهدف منها تقطيع أوصال الأمة أو نهب خيراتها لا ينفي ذلك بالطبع السعي الدائم ولا سيما من جانب بريطانيا إلى ترتيبات اقتصادية لصالحها قدر الإمكان كما في مجال النفط العراقي غير أن الاختراق الاستنزافي الذي تحقق لبريطانيا في الهند ولفرنسا في الجزائر لم يرَ النور في المشرق العربي

وإذا غابت عن «سايكس بيكو » القدرة على فرض التصور والتنفيذ في زمن الاستعمار الصريح الذي لا يخشى لومة لائم فما حال «سايكس بيكو » المرتقب حيث لا عصبة أمم تتحلّى بالأبوية الفجة ولا دول استعمارية تسعى إلى توسيع نطاق سيطرتها بل قوة عظمى وحيدة متبقية تعمل جاهدة على الانسحاب من المنطقة وقوى طفيفة في قدراتها متورمة في قناعاتها لا هي قادرة على فرض رغباتها على غريماتها ولا هي لانعدام الثقة وغلبة الهوى والاستهلاك بوهم إمكانية تحقيق الانتصارات مستعدة للجلوس مع غيرها والتنازل عن بعض طموحاتها وأطماعها

لم يكن سرّاً مخفياً عن عواصم القرار العالمية وفي طليعتها واشنطن أن إهمال الأزمات في سوريا والعراق وليبيا واليمن سوف يؤدي إلى استفحالها وأن استفحالها سوف يدفع بأفواج اللاجئين إلى الشواطئ الأوروبية وبخلايا «المجاهدين» إلى أعماق المجتمعات في كافة أرجاء العالم ولكن لاعتبارات منها الموضوعي ومنها الذاتي ومنها ما يشكل اعتذاراً مبرّراً ومنها ما ينحدر إلى مستوى الأعذار الواهية والسقطات السياسية والمعنوية لم تعالج الأسرة الدولية أصول المعضلة بل تكتفي اليوم بمواجهة فروعها

كيف يمكن بالتالي انتظار التحرك والانتاج مهّن كان عاجزاً أو ممتنعاً عنه رغم اتضاح مصلحته فيه فما تفيده الوقائع والمعطيات هو أن انتظار «سايكس بيكو» هو أقرب إلى انتظار «غودو» وبدلاً من التقسيم وإعادة رسم الحدود والسعي إلى زخرفة جديدة لخارطة المنطقة ما يمكن توقعه في المستقبل المنظور وإلى أن تظهر عوامل جديدة تعترض استقرار انسياب الانهيار هو تواصل الانحلال في البنى المادية والاجتماعية في البلدان التي تعيش حال الحرب والأزمة لتنضم سوريا ومعظم العراق وليبيا واليمن إلى الصومال في الخروج من تصنيف «الدولة» وفق أي معيار متعارف عليه وتدخل في خانة بؤر الأزمات التي يرجى احتواؤها وحسب وإن بشكل غير كامل واللائحة المرشحة لأن تتبع هذه البلدان في الانحلال قد لا تقف عند حد جوارها المباشر

ولا تدعو هذه القراءة القاتمة إلى التسليم بجبرية الانهيار بل هي وحسب تنبيه إلى أن التعويل على استنقاذ خارجي ولا سيما في شكل حل شامل هو من باب الخيال السياسي بل من باب التسويف الذي يزيد الأمور تعقيداً فالحاجة إلى مؤتمر تأسيسي جديد قد تكون بديهية ولكن مقومات انعقاد هذا المؤتمر ليست خارج المنطقة بل هي تحديداً في بروز واقعية مستحدثة تدرك القصور والتقصير لدى القوى المتنافسة داخل المنطقة وترضى بالتالي بتنزيل سقف المطالب المغالية بما في ذلك تحديداً الإبقاء على الطغم القاتلة أو إعادة تأهيلها والغض عن إجرامها والواضح أن الخسائر التي تمنى بها الأطراف كافة على فداحتها لم تصل للأسف إلى حد إقناع هذه القوى بفضائل التواضع والحوار والتسوية ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Iran Takes Next Steps on Rocket Technology

/ /

◆

Farzin Nadimi

(/policy-analysis/iran-takes-next-steps-rocket-technology)

تحليل موجز

السعودية تُعدّل تاريخها وتقلّص من دور الوهابية

فبراير

◆

سايمون هندرسون

(ar/policy-analysis/alswdyt-tudwl-tarykhha-wtqlws-mn-dwr-alwhabyt/)

BRIEF ANALYSIS

Targeting the Islamic State: Jihadist Military Threats and the U.S. Response

February 16, 2022, starting at 12:00 p.m. EST (1700 GMT)

◆

Ido Levy ,
Craig Whiteside

(/policy-analysis/targeting-islamic-state-jihadist-military-threats-and-us-response)